

فارسية التشيع

<"xml encoding="UTF-8?>



فارسية التشيع

فارسية التشيع

هذا موضوع من المواضيع التي كثر الحديث حولها وهي في واقعها تكون جزءاً من محاصرة التشيع كما سبق أن ألمعت لذلك . إن خصوم الشيعة ومنتبعهم من المستشرقين وكل يضرب على وتر يستهدفه ، جعلوا هذه القضية من الأمور المسلمة وضلّع تلامذتهم في ركابهم وحشدو كل وسائلهم لترسيخها في الأذهان فما تركوا وسيلة لإثبات أن التشيع فارسي شكلاً ومضموناً إلا وأخذوا بها من تفاهة هذا المدعى كما سنرى ومع أنه من قبيل رمتني بدائها وانسلت والغريب أن هذه الفريدة تعيش للآن مع وضوح الرؤية وانتشار المعارف وانكشف الحقائق وسأبحث هذا الموضوع مفصلاً نظراً لأهميته .

إن التشيع في معناه اللغوي : المناصرة والموالاة ، وبالمعنى الاصطلاحي هو الاعتقاد بأفكار معينة يشكل مجموعها مضمون التشيع ، فكيف والحالة هذه أن نتصور كون التشيع فارسياً ؟

وحتى نستوعب النقاط المتصرورة في هذا الموضوع لا بد من شرح أمور ننتهي معها إلى مقدار ما في هذا الادعاء من نسبة علمية أو تهريج فلا بد من ذكر أمور :

أولاً : إن المضمون الفكري للتشيع هو نفس المضمون الإسلامي ، وأي مضمون يشذ عن المضمون الإسلامي في العقيدة والأحكام فالشيعة منه براء بدليل أن مصادر التشريع عند الشيعة هي أربعة أذكرها لك على التوالي :

أ – الكتاب الكريم :

وهو ما أنزل بمضامينه وألفاظه وأسلوبه واعتبر قرآنًا وهو هذا المجموع بين الدفتين المتداول بأيدي المسلمين المنزه عن النقص والتحريف والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمتواتر بكلماته وحروفه بالتواتر القطعي من عهد النبوة حتى يؤمننا هذا وقد جمع على عهد النبي بوضعه الحالي وكان جبرئيل يعرضه على النبي (ص) كل عام (1).

ب – السنة الشريفة :

وهي قول المعصوم وفعله وتقريره الواصلة إلينا بالطريق الصحيح عن الثقات العدول ، والتي لا يتم لنا الوصول إلى ملابسات الأحكام بدونها والتي جاء دليل حجيتها من القرآن الكريم بقوله تعالى :

* (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) * 7 / الحشر .

ج – الإجماع :

الذي يكشف ضمنا عن قول المعصوم سواء قل المجمعون أم كثروا وسواء كان دليلا مستقلا مقابل الكتاب والسنة والعقل أم أنه طريق وحاك عن رأي المعصوم ، وأدلة حجيتها مفصلة في الكتاب والسنة والعقل .

د – دليل العقل :

ويرجع إليه وإلى قواعده عند فقدان النصوص أو تعارض الأدلة في تفصيل لا داعي لشرحه هنا : وملخصه : هو إدراك العقل بما هو عقل للحسن والقبح في بعض الأفعال الملائم لإدراكه تطابق العقلاء عليه وذلك ناتج من تأدب العقل بذلك وبما أن الشارع سيد العقلاء فقد حصل إدراك حكم الشارع قطعا وليس وراء القطع حجة .

ونظرا لأهمية التعرف على تفصيل هذه المصادر فإني أحيل من يريد التوسع في فهمها واستيعاب معانيها إلى مجموعة من المصادر هي التالية (2) :

إن هذه المصادر التشريعية هي المكونات العضوية لهيكل الشريعة الإسلامية باتفاق جمهور المسلمين على اختلاف بسيط في بعض تفاصيلها ولما كانت هي مصادر التشريع عند الإمامية مما معنى وصف التشريع بالفارسية .

إذا كان الباحثون في التشيع يقصدون من الفارسية مضمون التشيع الفكري - وهذا ما أستبعده - فإنه لا يمكن أن يقول به قائل ، إذ لا يتصور أن إنسانا يفترض لأحكام شرعية نوعا من العرقية ، وعليه فلا بد من استبعاد هذا الغرض من فارسية التشيع والرجوع إلى فرض آخر في هذا الموضوع يفترضها الباحثون .

هناك فرض آخر لتصور فارسية التشيع : هو أن هناك مفاهيم معينة بالحضارة الفارسية انتقلت إلى التشيع بمعناه الاصطلاحي عن طريق من اعتنق التشيع من الفرس ولم يستوعب التشيع كل أبعادهم فجاء من تصور هذه المعتقدات جزءا من ماهية التشيع . وبقيت هكذا يتدالوها خلف عن سلف .

وهذا الفرض قد صرخ به أكثر من باحث كما سأذكره لك بعد قليل . وفيما يخص هذه الصورة وهذا الفرض لا بد من الإشارة لأمور :

تعقيب

أ – إن هذا الإشكال بناء على فرض حدوث مضمونه ، فإنه يرد على المضمون الإسلامي نفسه حيث نص على ذلك معظم من كتب في الحضارة الإسلامية وخصوصا في الفترة الأولى من العهود الإسلامية والتي شكلت مضمون العقيدة فيها جدول انصب فيه أكثر من راقد ورافد عن طريق الأمم التي اعتنقت الإسلام جماعات منها ودخلت وهي تحمل أفكارها وعقائدها التي لم تتخلص منها وظهرت في الأفكار والسلوك كجماعات الروم والفرس والصينيين والعربين ولعل اليهود أكثر الجماعات تأثيرا في الحضارة الإسلامية حيث تبدو روحهم واضحة في هذه الميادين ، وذلك لأنهم استثاروا بالتفسير وبالقصص الدينية لأنهم أهل كتاب وفيهم كثير من الأخبار الذين يحفظون أحكام التوراة وقصص الأمم التي حفظتها الحضارة العربية والأساطير التي رافقت تلك القصص ، ولما كانت الجزيرة العربية فقيرة إلى الأفكار الدينية والمضمون الثقافية لعب الفكر اليهودي دورا هاما في ملء هذا الفراغ وخصوصا في الفكر السني الذي حاول أن يتخلص من هذا الرداء ويخلعه على الشيعة عن طريق الشخصية الوهمية عبد الله بن سبأ كما سنبرهن لك على وهمية هذه الشخصية قريبا ، ولكن حقائق الأمور والبحث الدقيق يثبت عكس ما ادعاه هؤلاء القوم وما نسبوه للشيعة .

أجل إن آراء اليهود انتقلت إلى الفكر الإسلامي عن طريق كعب الأحبار و وهب بن منبه و عبد الله بن سلام وغيرهم وأخذت مكانها في كتب التفسير والحديث والتاريخ و تركت بصماتها على كثير من بنود الشريعة . إن بوسع أي باحث الوقوف على ذلك في كتب كثيرة مثل تاريخ الطبرى ، و تفسيره جامع البيان ، و في كتاب البخارى وغيره من المؤلفات مما سننشر إلى مصادره عند ذكره .

وستجد فصلا ممتعا في تعليل العداوة بين الإنسان والحيثية يذكره الطبرى في تفسيره بسنده عن و هب بن منبه وذلك عند تفسيره للآلية السادسة والثلاثين من سورة البقرة وهي قوله تعالى : * (قلنا اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو) * الخ ، يقول الطبرى وأحسب أن الحرب التي بيننا - أي نحن والحيثيات - كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم في إدخالهن - يعني الحيثيات - إبليس الجنة بعد أن أخرجه الله منها ، ويستمر في سرد

أفكار عجيبة يستحسن أن يقرأها من يريد الفائدة من تفسيره (3) ويقول الطبرى في تاريخه عند شرح الذبح العظيم الذي فدى به إبراهيم ولده إسماعيل بأمر الله تعالى : إن الكبش الذى ذبحة إبراهيم هو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل منه(4).

وينقل في تاريخه قصصا تلمس عليها الروح اليهودي واضحًا ومن ذلك ما ذكره فقال : تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين في بطن واحد فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيسى فقال عيسى والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي ولاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيسى قبله وأخذ يعقوب بعقبه فسمي عيسى عيسى لأنه عصى وسمي يعقوب يعقوبا لأنه خرج بعقب عيسى ، وكثير الغلامان وكان عيسى أحب إلى أبيه ويعقوب أحب إلى أمه وكان عيسى صاحب صيد فلما عمي إسحاق قال لعيسى أطعمني لحم صيد واقترب مني حتى أدعوك ، وكان عيسى أشعر - أي كثير الشعر - ويعقوب أجرد فخرج عيسى يتتصيد وقالت أمه لإسحاق إذبح كبشا ثم اشووه والبس جلده وقدمه لأبيك كي يدعوك فلما مسه قال : من أنت ؟

قال : عيسى ، فقال : المس مس عيسى والريح ريح يعقوب فقالت أمه : هو ابنك عيسى فادعوا له الخ (5) ولست أدري كيف كان إسحاق لا يعرف أصوات أولاده وكيف تطلب الألم البركة من دعوات إسحاق وهي تكذب وكيف يكذب أبناءها وأي بيت نبي هذا البيت الذي يكون أعضاؤه من هذا النوع ، ثم أي اسم مشتق مثل يعقوب أو إسحاق أو عيسى لا يصلح لأن يشتق منه أمثال هذه الخزعبلات وهذا الهراء والسفه .

وأما الإمام البخاري فإنك تلمس الروح الإسرائيلي في كثير من رواياته وإليك نماذج من تلك الروايات التي يتضح فيها هذا الروح :

يقول البخاري : بسنده عن أبي هريرة : ما من بني آدم مولود يولد إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها (6) وما أدري إذا كان هذا فضيلة فلم حرم منها نبينا (ص) وهو سيد الأنبياء وإذا لم يكن ذلك فضيلة فما قيمة ذكرها ، وما ذنب الأنبياء الباقيين يمسهم الشيطان .

ويقول البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين : إن النبي (ص) سحر حتى كان يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله (7) .

ويروي البخاري قصة موسى موسى حين نزل إليه ملك الموت لقبض روحه فصكه موسى على عينيه حتى فقأها إلى أن قال : قال الله تعالى لملك الموت ارجع إليه وقل له ليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة غطتها يده عمر سنة (8) .

وفي الواقع إن هذه العملية طريقة فإن الشعر الذي يغطيه الكف ربما يصل إلى خمسة آلاف شعرة ، وعمر النبي الله موسى معروف فإما أن نكذب الرواية أو نكذب التاريخ .

وذكر البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة أن النبي (ص) مكت كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي إلى أن قال لي : يا عائشة إن الله أفتاني في أمر استفيته فيه أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رجلي للآخر ما بال الرجل ؟ قال : مطبوّب - أي مسحور - قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن أعمص

الخ إلى أن ذهب عنه أثر السحر بعد مدة (9) .

ومعنى هذه الرواية أن النبي (ص) أصيب بفقدان الذاكرة أو بالفصام وما أدرى ما هو حال الوحي خلال هذه المدة فإذا جاز أن يصاب النبي بمثل هذا المرض فما هو مقدار الثقة بالوحي وعلى كل تبقى مسؤولية الرواية على عاتق أم المؤمنين والبخاري ، ولقد حفل كتاب البخاري بمثل هذا اللون من الفكر اليهودي وذلك من قبيل ما ذكره في كتاب الاستئذان باب بدء السلام .

قال : بإسناده عن أبي هريرة عن النبي (ص) خلق الله آدم على صورته - الضمير يعود لله تعالى إذ لا معنى لعوده لآدم قبل أن يخلق آدم وتعرف صورته - طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال : إذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحبتك وتحببة ذريتك فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقصون حتى الآن (10) إلى أمثال ذلك من هذه الروايات العبرية ، ومع هذا اللون من الفكر الغريب عن روح الإسلام للزومه التجسيم والهرطقة مما وجدنا من ينجز حملة هذا الفكر بالخروج عن الإسلام أو باليهودية لنقلهم هذا الفكر الإسرائيلي إلى الإسلام أما إذا قدر أن شخصا تشيع وحمل معه شيئا من أفكاره للتتشيع تحول التشيع فورا إلى يهودية أو نصرانية مع أن تبعه كل فكر تقع على حامله وقد أسلفنا أن كل ما ينافي الإسلام يأبه التشيع جملة وتفصيلا .

ب - وعلى تقدير أن هناك مجموعة من الأفكار نقلها الفرس الذين تشييعوا معهم للفكر الشيعي : كالقول بالحق الإلهي الذي يقول به الفرس بالنسبة لملوكهم ويقول به الشيعة بالنسبة لأئمتهم - مع وجود فوارق بين الأمرين - وحتى أي مفهوم يحصل به التقاء بين الفكرتين كما يصوره البعض فإن ذلك لا يوجد قدحا في العقيدة ما دامت الأصول التي يتحقق معها عنوان الإسلام محفوظة عند الشيعة بحيث إذا وجدت كان الإنسان مسلما باعتناقها ونحن نعلم أن الأصول التي تحدد إسلام المسلم هي ما حدده النبي نفسه كما في صحيح البخاري عن أنس قال :

قال رسول الله (ص) : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخروا الله في ذمته ، كما أخرج البخاري عن علي (ع) ، أنه سأله النبي (ص) يوم خير على ماذا أقاتل الناس ؟ فقال (ص) : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم (11) .

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) : الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله به حقنت الدماء وعليه جرت المناهج والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس (12) فصفة الإسلام ثابتة لمن قال بالشهادتين سواء اعتقد أن الإمامة نص من الله تعالى فهي حق إلهي ، أو بالشوري فهي حق للجماعة يضعنونه حيث تتتوفر المؤهلات ، وحتى لو لم يكن لمعتقد الإمامة بالنص شبهة من دليل بل لو ذهب إلى أبعد من ذلك فابتدع وكان من أهل البدع فإن علماء المسلمين لا ينبوونه ولا يكفرون به . فقد عقد ابن حزم فصلا مطولا في كتابه الفصل في باب من يكفر أو لا يكفر وقد قال في ذلك الفصل : ذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقوله في اعتقاد أو فعل ، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال إن أصحاب فأجران وإن أخطأ فأجر واحد وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي وهو قول كل من عرفنا له قوله في هذه المسألة من الصحابة لا نعلم خلافا في ذلك أصلا (13) .

ويروي أحمد بن زاهر السرخسي وهو من أصحاب الإمام أبي الحسن الأشعري وقد توفي الأشعري بداره وقال : أمرني الأشعري بجمع أصحابه فجتمعهم له فقال اشهدوا عليّ أني لا أكفر أحداً من أهل القبلة بذنب لأنّي رأيتكم كلّهم يشيرون إلى معبد واحد والإسلام يشملهم ويعلمهم (14) .

وبعد ذلك كله فما هو وجه ربط التشيع باليهودية لأن فيه أفكار فارسية أو نعنه بأنه أثر فارسي إذا كان هناك بضعة أفكار نقلها معه بعض من أسلم منهم ودان بها وهي لا تتعدي رأياً أخذ به بشبهه من دليل أو حتى ببدعة كما مر عليك وقد عرفت آراء العلماء في ذلك .

إن هذا التهور على المسلمين والتهريج عليهم من خطل الرأي وسنوقفك عن قرب على مصادر ما ذهب إليه الشيعة من الكتاب والسنة وإن حسبه البعض أنه اقتباس من الفرس أما لقلة اطلاع أو لسوء قصد والله من وراء القصد .

ج - إن هذه الدعوى المقلوبة وهي فارسية التشيع سنوقفك قريباً على إثبات عكسها وأقول على فرض صحتها فما هو البأس في ذلك إذا كان الفارسي مسلماً ونحن نتكلم بلغة الإسلام طبعاً وشعارنا * (يا أيها الناس إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) * 13 / الحجرات .

فلماذا هذا الموقف وكيف ينسجم مع روح الإسلام ولو كنا نتكلم من منطلق قومي فإن لغة أخرى ستكون لنا حينئذ ولا يكون لنا أي مناقشة مع المتكلّم بها هذا مع أن العقل والمنطق القومي السليم يحتم احترام القوميات الأخرى إذا أراد احترام قوميته وما أروع كلمة الإمام الصادق (ع) في هذا المقام إذ يقول :

ليس من العصبية أن تحب قومك ولكن من العصبية أن تجعل شرار قومك خيراً من خيار غيرهم ، إن لغة الإسلام لا تفرق بين جنس وجنس فلا يعتبر مسلماً من يتكلّم بهذه اللغة ، أما إذا كان له دوافع وراء هذه اللغة غير إسلامية فلا تخفي على القارئ الفطن إن من يعتبر الناس مغفلين لهو المغفل الأكبر وسنرى عن قريب الدوافع من وراء هذه المزاعم .

هناك فرض آخر في تصوّر فارسية التشيع وهو أن كلّ أو غالبية الشيعة فرس وقد طغت أفكارهم الفارسية على التشيع حتى غطته وربما أدت إلى الاصطدام مع الشريعة الإسلامية لمخالفة تلك العقائد للإسلام هذا الفرض صرّح به بعضهم كما سترأه مع ما نعرضه من آراء في هذا الموضوع - وسترى أن هذا الرأي باطل ويعلم بطلان ذلك كلّ من له إمام بتاريخ المسلمين وعقائدهم وبطلانه للأسباب التالية :

أ - إن عقائد الشيعة تحفل بها مئات الكتب والمراجع وهي ميسورة تحت أيدي الباحثين والكتاب في كل مكتبات العالم ، وإن عقائد الشيعة مصدرها الكتاب والسنة وفقه الشيعة مصدره الكتاب والسنة والإجماع والعقل كما مر علينا وأشارنا إلى الكتب التي تشرح ذلك مفصلاً ونضيف إليها كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد وعقائد الصدوق والدرر والغر للسيد المرتضى وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ، ومن كتب الأخبار والأحاديث الكتب الأربع وهي الأصول المعتمدة عند الشيعة بالجملة وهي من لا يحضره الفقيه للصدق ، والكافي أصولاً وفروعاً لمحمد بن يعقوب الكليني والتهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي ، مع ملاحظة أن ليس كل ما فيها معتمداً عندنا ولكل روایة حساب ولذلك قلت إنها معتمدة بالجملة وقد تعرضت كتب التقريرات لنقد كثير من مضامين الكتب

. المذكورة .

ب – إن الفرس لا يكونون إلا جزءاً قليلاً من ناحية الكم الشيعي فالتشييع منتشر عند العرب والهنود والترك والأفغان والكرد والصينيين والتبتين والخ ويشكل الفرس جزءاً من الشيعة ليس كما يصوره البعض عن سوء فهم أو سوء نية .

ج – إن بدورة التشييع نشأت في مهد العرب في الجزيرة العربية وإن الرواد الأوائل للتشييع يشكلون مؤشراً واضحاً في ذلك ، وما كان من غير العرب في الرواد الأوائل من الشيعة عدى واحداً هو سلمان المحمدي كما سماه النبي (ص) وكان فارسياً . وقد ذكرنا الطبقة الأولى من الشيعة الذين تتوزع وشائرتهم على مختلف البطون والقبائل العربية ، وأنت إذا تتبعت الطبقة الثانية والثالثة من الشيعة فسوف تجدتهم عرباً في الأعم الأغلب ولا أريد الإطالة في هذا المورد فلذلك مكانه من كتب السير والترجم ، وسيرد في نهاية هذا الفصل ما يثبت دعوانا من آراء الباحثين والمنقبين .

ومع ما أسلفناه من كلام مما هو وجه نسبة التشييع للفارسية والذي أصبح يرسل عند بعضهم إرسال المسلمين كأنه من الأمور المفروغ منها . ولأجل أن نستوعب الموضوع سنضطر إلى الخوض في جوانب متعددة ونستعرض آراء كثيرة وما بررت به هذه الآراء صحة هذه النسبة للتشييع وهي لا تختلف في مستواها من العلم عن أصل صحة هذه النسبة ولا أشك أنك ستضحك كثيراً عندما تقرأ هذه الأسباب ويأخذك العجب كيف أن مثل هؤلاء الباحثين وهم على منزلة من العلم والتحقيق لا يستهان بها : يقتنعون بوجاهة هذه الأسباب فضلاً عن أنهم يسوقونها لإقناع غيرهم لولا الهوى والعصبية أعادنا الله تعالى وإياك منها ، ولو لا الأسر الذي يقع فيه من نشاء على عقيدة ولا يسمح للضوء أن يسلط على عقيدته ومسيقاته حتى يرى منها ما كان ناتجاً من مجرد تقليد أعمى ويصطدم بالمقاييس الصحيحة فينبذه وما كان على أرض صلبة ويلتئم مع قواعد الشرع فيتمسك به .

(1) الفصول المهمة لشرف الدين ص 163 ، والبيان للخوئي ص 197 .

(2) الأصول العامة للفقه المقارن ص 279 حتى ص 300 وانظر أصول الفقه للمظفر ج 3 ص 338 فصاعداً وانظر البيان للسيد الخوئي مبحث صيانة القرآن عن التحريف .

(3) تفسير الطبرى ج 1 ص 234 .

(4) تاريخ الطبرى ج 1 ص 142 . وإذا كان يمكن لكبس أن يعيش هذه المدة الطويلة كما هو في الفكر السنى فلماذا يستكثر علينا إذا قلنا أن شخصاً عاش منذ ألف ومائة سنة تقريباً للآن ولا يستكثر على من يفرض أن كبشاً عاش آلهاً مؤلفة من السنين .

(5) تاريخ الطبرى ج 1 ص 164 .

(6) البخارى ج 4 ص 164 .

(7) البخارى ج 4 ص 122 .

(8) البخارى ج 4 ص 157 .

(9) البخارى ج 8 ص 18 .

(10) البخارى ج 8 ص 50 .

- (11) أنظر صحيح مسلم ج 2 باب فضائل علي ، والبخاري ج 3 باب غزوة خيبر .
- (12) الفصول المهمة لشرف الدين ص 18 .
- (13) الفصل لابن حزم ج 3 ص 247 .
- (14) الفصول المهمة لشرف الدين ص 32 .